

■ ■ مشكلة..

ولا أباحسرها

إن أرض الهند أنجبت مئات من الأعلام البارزين في سائر العلوم والفنون، وتمتاز هذه الدولة منذ تاريخها القديم بأنواع من النشاطات الفنية والجهود العلمية في مختلف المجالات.

فأنجبت الهند مئات من العلماء والفقهاء والمحدثين والمتصوفين والمفكرين تفتخر البلاد لخدماتهم وإنجازاتهم العلمية والتاريخية وتعزز بهم، والتاريخ الهندي الإسلامي

حافل بذكر هؤلاء

الأعلام النبلاء

الشوامخ.

إن الشعب

الإسلامي الهندي وجد شخصية طالعة على آفاق سماء العلم والفكر والفن التي ظهرت في مستهل القرن العشرين بكل استعداداتها العلمية والأدبية وقوتها الروحانية لرفع المستوى الديني والتربوي لمسلمي البلاد.

وهذه الشخصية كانت تمتلك قوة الأخلاق الحسنة، ونور العلوم الشرعية والأعمال الصالحة والمكاتب الخاصة والمواهب الدينية، ولذلك فإنه جاهد واجتهد وقدم ماكان عنده من الخبرات والمؤهلات في سبيل إحياء التراث الإسلامي، وفي مجال الدعوة والإصلاح وفي ميدان التجديد والتعليم وفي حقل التصنيف والتحقيق، وفي طريق اليقظة والنهضة، وفي جادة إعلاء كلمة الله وتوحيد الأمة.

تعرفت الأمة الإسلامية في السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي أنه رجل فكر وعلم، رجل تجديد ودعوة، رجل إرشاد وتوجيه، إن الإسلام روحه وغايته الذي شغل محور حياته كلها فالإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله، فيه يفكر وعنه يتحدث وإليه يرجع واليه يدعو ومنه يستمد، له أبحاث وتحقيقات وأعمال جليلة

الجامعات والأندية والمؤسسات والوزارات المختلفة.

دعي الشيخ إلى المحاضرة في سورية في كلية الشريعة بدمشق، حيث كان عميدها الداعية الفقيه الشيخ الدكتور مصطفى السباعي، وقد كان من ثمرة هذه المحاضرات كتاب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»

كما دعي الشيخ إلى ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر، وكان له نشاط ملموس هناك، وقد سعدت باللقاء به في ذلك الحين.

ودعي الشيخ إلى المحاضرة في جامعة قطر، كما دعي إلى المحاضرة من وزارة الأوقاف في قطر، كما شارك في المؤتمر العالمي للسنية والسيرة الذي كان بداية الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري في قطر. واختير الشيخ نائباً لرئيس المؤتمر بالإجماع.

ودعي الشيخ إلى الكويت وإلى الإمارات العربية المتحدة وإلى السعودية وكانت له صلة طيبة بالشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة.

١١- مهرجان ندوة العلماء - لكهنو:

ولمكانة الشيخ الكبيرة في قلوب العلماء والدعاة في العالم العربي، استجاب عدد كبير منهم لدعوة الشيخ للاحتفال بمرور «٨٥» خمسة وثمانين عاماً على تأسيس «ندوة العلماء» في الهند، التي يتولى الشيخ رئاستها والإشراف عليها، وعلى مؤسساتها، ومنها «دار العلوم» والمعاهد التابعة لها.

وكان على رأس الحضور الإمام الأكبر شيخ الأزهر الرجل الصالح الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله، الذي أبى الشيخ الندوي إلا أن يجعله رئيساً لهذا المهرجان الكبير، الذي أقيم في مدينة «لكهنو» بالهند، وقد حضر الألوف بل عشرات الألوف من أبناء الهند هذا الاحتفال الكبير، حتى من غير المسلمين. وكان عرساً لم تشهده هذه المدينة من قبل.

لقد عرف العالم العربي الشيخ الندوي بزياراته ولقاءاته، وعرفه بدروسه ومحاضرات، وعرفه بكتبه ومؤلفاته، فأحبه وقدره كل عربي مثقف مخلص لدينه، غيور على أمته، وإنه لاهل لهذا الإعجاب والتقدير، وما عند الله خير وأبقى إن شاء الله.



ندوات.. في تأيين الشيخ



في مجال الفكر الإسلامي، والدعوة الإسلامية جهده وجهاده. يعد أبو الحسن الحسني أحد الرواد الأوائل في شبه القارة الهندية الذي ساهم في تحقيق يقظة إسلامية وصحوة إسلامية عظيمة لمواجهة الفكر اللاديني والفلسفة الغربية والتخلف والجهل الذي احتاج القارة الهندية والعالم الإسلامي كله في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي بذل قصارى جهوده طول حياته في مجال الإصلاح والتوجيه مدافعاً عن حقوق المسلمين ودافعاً عن الإسلام والأحوال الشخصية للمسلمين محاولاً استرداد حقوق الأقلية الإسلامية ورفع شأنها السياسي والديني الاجتماعي بأساليب مختلفة.

عمل لإحياء القيم العليا والأقدار السامية للحفاظ على كرامة البشرية، فرقع رسالة الإنسانية إلى أهالي البلاد، وشارك في عمليات التقارب والتفاهم المشترك بين الحركة الإسلامية والمنظمات الدينية وفي عمليات النهضة التربوية والتعليمية لمكافحة الجهل والتخلف العلمي والديني، حتى اعترفت الأمة له بالفضل والريادة والمرجعية على إنجازاته وخدماته وعلى مكانته الدينية وتفوقه القيادي عديم النظير.

حمل أبو الحسن في فكره الإسلام وشعاراته والعلم ونهضة الفكر واستخدام العقل، والتخطيط الحقيقي لإحياء الأمة بالجمع بين اصالتها ومعاصرتها وضرورة أن يقود ركب الأمة علماءها المخلصون، والدعوة إلى بناء الحضارة مهتماً بالأخلاق واستخدام العقل والدين، والدعوة إلى الاجتهاد الفكري والفقه لآل الظروف متغيرة وأوضاع الحياة متجددة مع الالتزام بضوابط

الدين وإرشاداته.

حاول الشيخ طوال عمره لفت أنظار العرب والمسلمين حكاماً وملوكاً وشعوباً إلى ما هم عليه من تخلف فكري وعقائدي وحضاري، فصرخ صرخة وأعلى صوتاً وأسمعهم بأن الإسلام الذي جاء به النبي العربي إنما هو السبيل الوحيد للنهوض والوحدة والتجمع لأنه دين ودولة، طريق سعادة ونجاة، منهج تقدم وازدهار.

وتعتبر الأمة أبا الحسن مجدداً وإماماً ومفكراً ومصلحاً ومرشداً لها بما يحتل من مكانة علمية ودينية رفيعة حيث كان على قمة عالية في رسوخ العلم وفي تقوى الله وفي الصلابة في الحق والشجاعة في الرأي. انشغل أبو الحسن منذ البداية بالدفاع عن الشريعة الإسلامية، فدافع عن الإسلام في وجه التيارات الفكرية المعاصرة من العلمانية والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية العلمية والقاديانية والوطنية اللا دينية والقومية العربية والحركات الهدامة، وأكد الحاجة إلى نهضة إسلامية تضع الأمور في نصابها، وتعالج داء الأمة بدواء دينها الشافي، لا بحلول غربية تزيدها عللاً وأسقاماً.

والشيخ أبو الحسن كان متجهاً في سائر كتاباته وخطاباته تجاه إعطاء محتوى إيجابي لثقافة الدعوة والحركة العلمية والسعي في تبصير الأمة بشؤونها العامة وبحقوقها وواجباتها، والعمل على تنشئة الشباب المسلم على الحس الديني والانفعال مع مطالب الأمر والنهي عن المنكر والمشاركة في العمل الإصلاحي والتربوي بأفق مستقبلي واسع وعقلانية خصبة وتربص في انتظار النتائج.

ويمكن أن يقال إن مصنفات الشيخ أبي الحسن هي المدخل المناسب لولوج عالم النظم الإسلامية لأنها حلقة انتقال وسيطة نحو التنظير التاريخي والدعوي والتربوي والسياسي الإسلامي المنشود.

أخلص دينه لله فأخلصه إليه لدينه، وكان يشغف القرآن بالقراءة والتلاوة والحفظ والتفكير والتدبر وكان يقرأ الكتب في أوقاته وأحواله المختلفة لأن للقرآن أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله، بل هي العامل القوي الذي يجب أن يكون وراء كل فقيه وداعية، والقراءة والدراسة

تعطي فكرة صحيحة عن العالم ووضاعه وشؤونه، وهي التي تضع حدوداً صحيحة لشتى المفاهيم، فلا بد للداعية إلى الله أن يقرأ كل شيء، من كتب الإيمان والفلسفة، يقرأ كل منازع الفكر البشري المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة.

■ أهم مكنزات الفكر الدعوي عند أبي الحسن :

أول هذه المرتكزات وأعظمها القرآن الكريم، فكان الشيخ أبو الحسن يتلو القرآن حق تلاوته ويحفظه حق حفظه، حيث اختار منهج المعاشية الدائمة للقرآن منهج حياته الذي جعل معانيه ومعارفه بين يديه، يقطف من ثمارها ماشاء، وكان يستشهد بآيات القرآن ويستنبط منها معاني جديدة، يتخذ منها حجة في معركته ضد الظلم والجهل والفساد والاستبداد، ساعده على ذلك حسه الأدبي الفياض وتعبيره البياني الجياش، وكان الشيخ يؤكد على ضرورة العناية بكتاب الله وتقديره على ماسواه، لأن الوعي بمعاني القرآن يعطي الإطار العام للرسالة الإسلامية ويبين الأهم من التعاليم الواردة ويعين على تثبيت السنن في مواضعها الصحيحة، ولأن الإنسان الواصل بالقرآن دقيق النظر إلى الكون، خبير بازدهار الحضارات وانهيارها، نير الذهن بالأسماء الحسنی والصفات العلی، حاضر الحس بمشاهد القيامة وما وراءها، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك، فكان القرآن هو المصدر الأول والمنبع الأصل لفكره الدعوي والإصلاحي والتحقيقي، والسنة النبوية هي المصدر الثاني عنده، ولذلك أنه كان يعتبر السنة ضرورة أساسية لفهم القرآن لأنها الشرح النظري والتطبيق العملي له، فكان يحتفل احتفالاً خاصاً بالسيرة باعتبارها الجانب العملي من السنة، فكان يبين مكانة السنة مؤكداً بأن القرآن هو قانون الإسلام وأن السنة هي تطبيقه، وأن المسلمين متفقون على اتباع السنة بوصفها المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن، فطاعة الرسول في أوامره واجبة وهي من طاعة الله.

ومرتكزه الثالث التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي، وقمته السيرة النبوية، فهي بداية التاريخ الإسلامي ونقطة إنطلاقة، ولذلك كان الشيخ يدرس التاريخ

الإسلامي دراسة عميقة، مستنبطاً النتائج الواضحة ومستخرجاً الحقائق الثابتة، وفي كل إنتاجه كانت سمة الدراسة التاريخية الواقعية حاضرة وواضحة، سواء في تركيبه للأفكار أو في أسلوبه في الحوار أو في الوعاء اللغوي الأنيق الذي استعمله لبث تلك الأفكار على مدى أكثر من نصف قرن من جهاده الفكري والتجديدي والإصلاحي والدعوي.

والشيخ أبو الحسن كان يتصل بالتاريخ إتصالاً قوياً، يدرك وقائعه وأحداثه ومراحله وخاصة بالتاريخ الإسلامي وأسرار إنتصار أمته وتفوق حضارته وتخلف الأمة وغلبة أعدائها وأسباب ذلك.

ومرتكزه الرابع، الثقافة العامة والثقافة الدينية والإنسانية.

ومرتكزه الخامس، علم الواقع وفقهه عن طريق الاطلاع، الواقع المحلي والاقليمي والإسلامي والواقع الدولي.

ومرتكزه السادس الإحسان والتزكية فكان يلم بتاريخ التصوف والروحانية والعالم الروحاني.

وعندما ندرس موضوع الدعوة وخصائصها عند أبي الحسن نجد بأنه يتميز بميزات وخصائص، وكيف لا يتميز حيث كان متصفاً ومتخلقاً بأخلاق الله ومتحلياً بالصفات السامية معروفاً بالعبقرية، ومن خصاله البارزة:

أ - العقل العلمي المبصر.

ب - النفس الشاعرة.

ج - الروحانية الدافقة.

د - الوسطية بين العقل والقلب.

هـ - حب النبي وأهل بيته.

ومن مصنفاته الشهيرة بهذا الخصوص، «رجال الفكر والدعوة» في ست مجلدات، و «إذا هبت ريح الإيمان» والكتب الأخرى مليئة بالحركة الدعوية.

إن الشيخ أبا الحسن قاد وساد، فكر وكتب، أصلح وجدد ووجه وأرشد، فأدى دوره في جمع الكلمة والملة وفي جمع القادة والسادة وفي جمع الزعماء ورؤساء المنظمات وأئمة المذاهب والفرق لصالح الإسلام والمسلمين تحت رؤية «لا إله إلا الله» فانقادوا تحت أمره

ندوات.. في تأيين الشيخ



مع تواجد الخلافات المختلفة.

ولكن بعد انتقال الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى رحمة الله تواجه الأمة الإسلامية في الهند وخارجها أخطار ومشاكل، هذه المشاكل الخطيرة الجسيمة أحاطت بالأمة والعالم الإسلامي من سائر الجوانب، ومما تجدر الإشارة إليه أنها هي مشكلة التحزب والتعصب المذهبي، مشكلة التطرف الديني، مشكلة انهيار القيادة الدينية وانزوائها وانكماشها، ومشكلة إنقسام الملة الإسلامية بين طوائف وفرق وكتلات وطبقات باسم اللحوم والدم، باسم اللون واللغة، باسم النسب والأسرة، باسم القبيلة والمنطقة.

إن المسلمين في الهند يواجهون أخطر المشاكل والمصائب من داخلها وخارجها في هذا الوقت أما المشاكل التي يعانيها المسلمون من الخارج فهي من جهة الحكومة الهندية

صديقة لإسرائيل، ومن جهة

الأحزاب والمنظمات الهندوكية المتطرفة العاملة والداعية إلى إقامة النظام الوثني الهندوكي تحت إشراف الحكومة وستارها، ومن جهة ممارسة الإصلاحات القانونية والدستورية والمشروعات الحديثة الإصلاحية على المستوى الوطني، ومن جهة الإعلام والصحافة ووسائلها عن طريق نشر البرامج ضد الإسلام والمسلمين، ومن جهة وزارة التعليم والتربية التي تريد التدخل في مراكز الأقلية الإسلامية ومدارسها الدينية ومعاهدها الإسلامية عن طريق تشويه صورتها والطعن في سمعتها، ومن جهة وزارة الثقافة باسم التنقيف والعولمة والوطنية وحب أرض الوطن.

ولا شك أن المسلمين في الهند يعانون أنواعاً من المشاكل والأخطار الجسيمة، لأن الحكومة تريد اغتصاب

حقوق الأقليات التعليمية والدعوية، وحقوق العمل وفق القانون الشرعي في شئون الحياة حيث تتدخل في قوانين الأحوال الشخصية لتغييرها والقضاء عليها وعلى الحضارة الإسلامية والثقافة الدينية.

أما المشاكل الواقعية الناجمة بين الشعب الإسلامي الهندي: منها مشكلة الإنحسار والتناثر والذوبان ضد الضغوط السياسية والقانونية ومنها مشكلة إنقسام القيادة الدينية بين مخيمات مختلفة معرضة عن غيرها، ومنها مشكلة إثارة نيران الصراعات الداخلية بين المذاهب الفقهية والفرق الإسلامية، ومنها مشكلة التخوف النفسي وحب الذات والتعصب الحزبي، ومنها مشكلة انقسام الأقلية الإسلامية الهندية تحت لواء القيادات والزعامات متنوعة الأشكال والصور الفارغة عن العقل والفكر، العاطلة عن العمل والرجاء، والمشكلة الكبرى إنما هي مشكلة التشتت والتمزق والتفرق الناشئ الشائع بين الأمة الإسلامية وخاصة في الهند، وليست هذه كلمات التعبير بل هي الصورة الواقعية الهائلة، وتريد الحكومة الهندية المتطرفة لإبادة قوة المسلمين من أساسها عن هذا الطريق.

وإني أقول بكل صراحة بأن الفتنة المالية سائدة في كل مكان وفتنة طلب المال والمناصب والحرص عليها **والميل إليها أنها هي السبب الوحيد والعامل الفريد** التي خلقت مشاكل معقدة على جميع المستويات، فهناك من يريد منصباً عالياً فيعانق ويصافح مع المخابرات السرية للحصول على المطلوب، وهناك من يريد علواً وفساداً وإفساداً بين جماعات الأمة ورجالها، من يريد منصباً وكرسياً في برلمان أو في منظمة فيبيع نفسه فيركع أمام من يشاء، وهناك من يريد الدنيا فيشتت شمل المسلمين ويفرق جمعهم بنعرات نسبية، ويغرس بذور العداوة والتنافر بين المسلمين باسم هذه «الجاهلية»، وهناك علماء وأئمة يكتبون بدون تفكير ويخطبون بدون علم، فيكتبون تحت تأثير وضغوط القادة السياسيين المغرضين فيبثون السموم والآلام والجروح في جسد الأمة الإسلامية الهندية، وهناك من يعمل لتضخيم الخلافات ولشغل الناس بها، فتكاثر العدد ممن يستخدمون الفتاوى الجزئية للتفسير